تفسير

سورة الناس[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ . (القرَّاء على ترك الإمالة في ﴿ٱلنَّاسِ﴾[٢] ، وروي عن الكسائي : الإمالة إذا كان في موضع الخفض[٣] ، ولا إشكال في حسن ذلك وجوازه ، وذلك أنه لو كان مكان الناس نحو : المال ، والعاب[٤] لجازت إمالة (الألف) فيه لكسره الإعراب ، فإذا كان ﴿ٱلنَّاسِ﴾ كان أحسن ؛ لأن هذا[٥] الحرف قد أميل في الموضع الذي لا يوجب القياس إمالته ، كما أميل الحجاج إذا كان علماً ؛ لأنهما

---

(١) فيها قولان : أحدهما أنها مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني أنها مكية ، رواه أبو كريب عن ابن عباس ، وقتادة . انظر : المحرر الوجيز ٥/ ٥٤٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٥ .

(٢) انظر : السبعة في القراءات ٧٠٣ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٨١١ ، والحجة ٦/ ٤٦٧ ، والمهذب في القراءات العشر ٢/ ٣٤٥ .

(٣) وأيضاً كان لا يميلها أيضاً في موضع الرفع والنصب . انظر : المراجع السابقة .

(٤) في (أ) : (العار) .

(٥) في (أ) : (هذه) .

كثرا في الكلام فاستجيز ذلك فيهما ، فإذا أميل ﴿ٱلنَّاسِ﴾ حيث لم يكن معه شيء يوجب الإمالة للكثرة فإن يمالَ لكسرة الإعراب أجدر)[١] .

٤. وقوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ . قد تقدَّم عند قوله : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف :٢٠][٢] .

وقوله : ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ . قال ابن عباس : «هو الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس»[٣] .

وقال مجاهد : «إذا ذكر الله خنس ، وإذا لم يذكر الله انبسط على قلبه»[٤] . وهذا قول جماعة المفسرين في الوسواس الخناس .

ومضى تفسير الخناس عند قوله : ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير :١٥] .

قال مقاتل : «هو شيطان في صورة خنزير يجري في جسد العبد مجرى الدم[٥] ، فإذا سها ابن آدم ابتلع قلبه فوسوس ، وإذا ذكر الله خنس عنه فخرج من جسده ، فهو الوسواس إذا سها ابن آدم ، وهو الخناس إذا ذكر»[٦] .

---

(١) ما بين القوسين منقول عن الحجة ٦/ ٤٦٦ ، ٤٦٧ بتصرف يسير .

(٢) مما جاء في تفسيرها : قوله : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ﴾ . قال الليث : «الوسوسة : حديث النفس والصوت الخفي من ريح تهز قصباً أو شيئاً كالهمس ، وبه سُمِّي صوت الحليِّ وسواساً» . وقال ابن الأعرابي : «رجل يوسوس ، ولا يقال موسوس ، لأن نفسه توسوس له ، قال تعالى : ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٣٥٥ ، وقال بنحوه أيضاً قتادة . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤١٠ .

(٤) ورد معنى قوله في تفسير مجاهد ٧٦٢ ، وجامع البيان ٣٠/ ٣٥٥ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٢٨ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٣ .

(٥) غير مقروء في (ع) .

(٦) ورد قوله في تفسير مقاتل ٢٥٧ب ، وورد مختصراً في الكشف والبيان ١٣/ ١٩٤أ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦٣ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٣ .

وهذا معنى ما روى أنس أن النبي ﷺ قال : «إن الشيطان واضع خَطْمَه[١] على قلب ابن آدم ، فإذا ذكر الله -عز وجل- خنس ، وإذا نسي الله -عز وجل- التقم قلبه ، فهو قوله :

٥. ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[٢] .

أي بالكلام الخفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع الصوت ، وهو معنى الوسواس في اللغة ، وقد مَرَّ[٣] .

٦. وقوله تعالى : ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ .

قال ابن عباس : «أخبر الله -عز وجل- أنه من الجن والإنس»[٤] ، وهو قول مقاتل[٥] ، وسفيان[٦] ، جعلوا الذي يوسوس من الجنة والناس .

---

(١) خَطْمَه : أنفه ، والخطم من كل طائر منقاره ، ومن كل دابة خَطَمه ، مقدم أنفه وفمه . انظر : تهذيب اللغة (خطم) ٧/ ٢٥٦ ، والصحاح (خطم) ٥/ ١٩١٤ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٦٨ ، ونسبه الهيثمي إلى أبي يعلى في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٩ ، وفيه عدي بن أبي عمارة ، وهو ضعيف ، وأخرجه أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ١٩٥أ ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٦٩٤ إلى ابن شاهين في الترغيب في الذكر ، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، وأبي يعلى ، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤٠٢ ، ٤٠٣ ح ٥٤٠ ، وأورده الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٥٢٤ ، وضعَّف محقق كتاب الوسيط ، والبسيط إسناد رواية الواحدي لوجود زياد بن عبدالله النميري .

(٣) عند الآية ٢٠ من سورة الأعراف .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢٥٧ب .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

قال قتادة في قوله : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ : «من الجن شياطين ، ومن الناس شياطين ، فنعوذ بالله من شياطين الجن والإنس»[(١)] .

وقال الحسن : «هما شيطانان : أمَّا شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس ، وأمَّا شيطان الإنس فيأتي علانية»[(٢)] .

وفي الآية قول آخر هو أن قوله : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ تفسير لقوله : ﴿فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ؛ أي يوسوس في صدور الناس من[(٣)] القبيلتين : الجنة والناس .

والمعنى : يوسوس في صدور الجني ، كما يوسوس في صدور الإنس . وهذا (قول الكلبي[(٤)] ، و)[(٥)] اختيار الفرَّاء : قال : «وقع الناس في قوله : ﴿صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾على الجنة ، وعلى الناس ، كقولك : يوسوس في صدور الناس جنتهم وناسهم ، قال : «وسُمِّي الجن نفراً ، ورجالاً في قوله تعالى : ﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن :١] ، وقوله : ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن :٦] ، وقد قال بعض العرب : جاء قوم من الجن فوقفوا ، فقيل : مَن أنتم ؟ فقالوا : أناس من الجن»[(٦)(٧)] .

---

(١) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤١٠ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٣٢ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٣ .

(٢) بحر العلوم ٣/ ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦٣ ، وفتح القدير ٥/ ٥٢٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٤٧ .

(٣) في (أ) : (على) .

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ١٩٤أ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ورد في معاني القرآن ٣/ ٣٠٢ بتصرف .

(٧) علَّق الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٤٥ على المعنى الذي ذكره الفرَّاء بقوله : «وما أحقه ، لأن الجن سُموا جنّاً لاجتنانهم ، والناس ناساً لظهورهم ، من الإيناس ، وهو الإبصار ، كما سُموا بشراً ، ولو كان يقع الناس على القبيلتين ، وصح ذلك وثبت ، لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن وبعده من التصنع . . .» . وقد ضعَّفه أيضاً الفخر في التفسير الكبير ٣٢/ ١٩٨ ، وردَّه الإمام ابن القيم في تفسير المعوذتين ١٢٠ ، ١٢١ =

وقال أبو إسحاق : «الناس في قوله : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ معطوف على الوسواس» .

المعنى : من شر الوسواس ، ومن شر الناس[(١)] .

والمعنى على هذا ؛ لأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن والإنس ، ودليل ذلك قوله : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق :٢] ، ونحو هذا قال صاحب النظم ، قال : «لأن الخناس لا يكون من الناس ، فالناس في قوله : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ على نظم من شر الوسواس الخناس ، ومن شر

= من وجوه عدَّة ، منها : «أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني ، ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي ، ويجري منه مجراه من الإنس ، فأي دليل يدل على هذا حتى يصح حمل الآية عليه ؟
الآخر : أن الجِنَّة لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه ؛ لا أصلاً ، ولا اشتقاقاً ، ولا استعمالاً ، ولفظهما يأبى ذلك . ثم أبطل أيضاً الاستدلال بالآيتين على عدم امتناع إطلاق الجن اسم الرجال ، ونفراً قال : وجواب ذلك أن اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعاً مقيداً في مقابلة ذكر الرجال من الإنس ، ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقاً . وأنت إذا قلت : إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ، ونحو ذلك ، لم يلزم من ذلك وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب ؛ وذلك لأن الناس والجنة متقابلان ، وكذلك الإنس والجن . . . بخلاف الرجال والجن ، فإنهما لم يستعملا متقابلين ، فلا يقال : الجن والرجال ، كما يقال الجن والإنس» . ثم قال : «وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم في أن الجن لا يدخلون في لفظ (الناس) ؛ لأنه قابل بين الجنة والناس ، فعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر . فالصواب هو أن قوله : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ بيان الذي يوسوس ، وأنهم نوعان : إنس وجن ، فالجني يوسوس في صدور الإنس ، والإنسي أيضاً يوسوس في صدور الإنس» .

(١) زاد المسير ٨/ ٣٣٦ .
نكتة : لم أجد تفسيراً لهذه السورة عند أبي إسحاق في المخطوط لكتاب معاني القرآن وإعرابه ، وقد ذكر محقق المطبوع أن الزَّجَّاج لم يفسِّر سورة الناس ، فعمد إلى تفسيرها تفسيراً لغويّاً قريباً من طريقة الزَّجَّاج . وأقول : وباعتبار أن الإمام الواحدي أورد للزَّجَّاج تفسير لهذه الآية (٦) من سورة الناس ، فلعل للزَّجَّاج تفسيراً لها لم يكتبه النُّسّاخ ، وعليه لو استعان صاحب المطبوع على ما جاء عند الواحدي ، وابن الجوزي في ما أورده عن الزَّجَّاج في زاد المسير ٨/ ٣٣٦ لكان أفضل . بالإضافة إلى ما صنعه لإتمام كتاب المعاني ، والله أعلم .

النـــاس ، ويكون قوله : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّـةِ﴾ وصفاً للخناس مخصوصاً[١] ، فيكون[٢] المعنى في الجملة : من شر الجن ، ومن شر الناس»[٣] ، هذا كلامه .

وعلى ما ذكره الفرَّاء : «الناس عطف على الجنة ، والقول هو هذا»[٤] ، (والله أعلم بالصواب .

هذا آخر الكتاب

(١) في (أ) : (عصوصاً) .
(٢) في (أ) : (ليكون) .
(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٤) سبق الرد على ما ذكره الفرَّاء .

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ الْمُفَسِّرُ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي نسخَتِهِ الأَصْل)[١] :

وقد يسر الله تعالى ، وله الحمد لحسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يسبق إلى مثله في هذا الباب شرحاً ، وبياناً ، ونظماً وإتقاناً ، (وإطناباً)[٢] غير ممل ، وإيجازاً غير مخل ، حتى برز عند تمامه كالروض غب رِهَامه[٣] ، وأثواب[٤] الوشي منهما ، وبدائع الحلي منظماً قد أخرج لساني عن عهدة ضماني بإيفاء شرائطه ، والقيام بموجب حقوقه ، بعد تراخي المهلة ، وتطاول المدة من يوم افتتاحه إلى يوم اختتامه (لنكد الدهر ، وقلة مساعدة الزمان الخوان ذي اللوان)[٥] ، وقد كنت تعبت دهراً طويلاً من عنفوان صباي إلى أن تناهى أيام شبيبتي في إحكام مقدمات هذا العلم ، رجاء أن أقتدر بها على تلخيصه وتهذيبه وترهيصه ، فحقق الله بفضله ذلك الرجاء ، وأتم بإتمامه عليَّ النعماء ، وهو المسؤول -عزت قدرته- أن يجعله وسيلة إلى مرضاته ؛ إلى التنجيح في جنابه ، إذ لم أقصد به إلَّا ابتغاء وجهه الكريم ، وفضله العظيم .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) الرِّهمة (بالكسر) : المطرة الضعيفة الدائمة ، والجمع رِهَم ورهام ، وروضة مرهومة . قال أبو زيد : «ومن الديمة الرِهْمَة ، وهي أشد وقعاً من الديمة ، وأسرع ذهاباً» . انظر : الصحاح (رهم) ٥/ ١٩٣٩ .

(٤) في (ع) : (أفواق) .

(٥) تضمن ما بين القوسين عبارات للإمام الواحدي ، فيها من سبِّ الدهر الذي نُهي عنه ، وجاءت الأدلة بتحريمه ، فقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «قال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر ، أُقلِّب الليل والنهار» . أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب التفسير (سورة ٤٥) ٣/ ٢٩١ ح ٤٨٢٦ . ومعنى الحديث : أن العرب كان من شأنها ذم الدهر ؛ أي سبُّه عند النوازل ، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره ، فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبُّوا فاعلاً ، فكان مرجع سبِّها إلى الله عز وجل ؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصنعونها ، فنُهوا عن سبِّ الدهر . انظر : فتح المجيد ٤١٢ . والحديث صريح في النهي عن سبِّ الدهر مطلقاً ؛ سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام . نقلاً عن تيسير العزيز الحميد ٥٤٥ . والكلام في النهي عن سبِّ الدهر يُنظَر فيه المصدران السابقان (فتح المجيد ، وتيسير العزيز الحميد) .

والحمد لله فوق حمد العارفين ، وفوق شأو الواصفين ، وصلواته ، وتحياته على المبعوث بالبيان الساطع ، والبرهان اللامع ، والقرآن الكريم ، والكتاب الحكيم ، محمد النبي ، وعلى أصحابه أجمعين ، آمين يا رب[١] العالمين .

وذلك (عصر يوم الأربعاء)[٢] لعشر بقين من (شهر)[٣] ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة والحمد لله .

(وتم الكتاب بحمد الله ومنه)[٤] .

(كتبه الراجي عفو ربه عمر بن صديق بن معروف بالربوة المباركة ، وكان الفراغ منه في العشرين من شهر رجب سنة ثلاث عشر وتسعمائة بعون الله وتوفيقه والحمد لله وحده . بلغ مقابلة ولله الحمد)[٥] .

(قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، أعني كتاب البسيط رحم الله مصنِّفه ، وأنهيته مطالعةً والحمد لله . . .[٦] وقف عليه بعدي . . .[٧] فأسأله . . .[٨] الله العفو والمغفرة والرحمة . . .[٩] صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه الراجي عفو ربه . . .[١٠])[١١] .

---

(١) في (ع) : (آمين رب) .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٥) ما بين القوسين خاص (ع) ، وقوله : (بلغ مقابلة ولله الحمد) كُتب في هامش المخطوط .
(٦) غير مقروءة في (ع) .
(٧) غير مقروءة في (ع) .
(٨) غير مقروءة في (ع) .
(٩) غير مقروءة في (ع) .
(١٠) غير مقروءة في (ع) .
(١١) ما بين القوسين خاص (ع) .